

## خطاب 72 الديمقراطية في العراق مسيرة تقدم

في المؤتمر الأول للمجموعة العراقية للدراسات الاستراتيجية المقام في فندق الرشيد  
2011/11/30

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله (تبارك وتعالى):  
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)).

بموفور الشكر، وموصول التقدير للمجموعة الثقافية التي اضطلعت بهذه المهمة، ولعل باكورة أعمالها في هذا المؤتمر الموسوم بـ (المؤتمر الدولي لمناقشة التجربة العراقية)، أحسب أنها جاءت بمحطة أساسية في مسار ليس فقط مسار العملية الديمقراطية في العراق، بل مسار الانفتاح الذي تتمتع به دول المنطقة عموماً، وما عصفت بها من رياح الإصلاح والتغيير بدءاً بتونس وعبوراً إلى مصر وليبيا وإلى عموم المنطقة.

إن أبرز تجليات الديمقراطية هو المجال السياسي سواء كان على مستوى المعارضة أو على مستوى الحكم غير أن اختزال الديمقراطية في حقل الحكم أو المعارضة لا يخلو من قصور نظر؛ لأن الديمقراطية كلٌّ لا يتجزأ، ولأن الشعب يمثل قاعدة وبنية تحتية يُشاد عليها الصرح الديمقراطي في كل مرفق من مرافق الحياة، فمن غير الصحيح أن نتصور ديمقراطية سياسية من دون ديمقراطية في مجال الاقتصاد والأمن والإدارة، بل في مجال حياة الإنسان سواء كان على الصعيد الشخصي أو الأسري أو الاجتماعي أو المؤسسي، ومن ثم تمتد، وتنداح حتى تصل في مدياتها الأخيرة إلى ديمقراطية الحكم.

الديمقراطية تعرّضت منذ نشوئها لعمليات تحريف، وتزييف، وواجهت تحديات كبيرة على أكثر من صعيد، ورائد الديمقراطية الذي كتب عن الديمقراطية، ونظّر لها قتل بقرار ديمقراطي وهو سقراط، ومن يستحضر تجربة الديمقراطية يجد أن بعض دول العالم حاربت الديمقراطية، وبعضها التحق بركبها، وبعضها أنسنت الديمقراطية، وأصبحت من الموارد التي يختلف عليها الكثيرون، وإذا تحدثنا في المجال الديمقراطي فإننا لا نتحدث عن فكر مجرد إنما نتحدث عن تجربة، فهناك علاقة جدلية بين التجربة الديمقراطية وتنظير الديمقراطية، حيث تجارب تختمر؛ فتتمخض أفكار جديدة تنعكس على شكل ثقافة، ومعارف، وتنظير؛ لذلك تكثرت الديمقراطيات اليوم، ومنها الديمقراطية المركزية في المعسكر الشرقي التي نادى بها الاتحاد السوفيتي، والديمقراطية الموجهة في أندونيسيا في زمن سوكارنو، والكولونية أو الشمولية التي عصفت في ديمقراطية الغرب، وقضت مضجعها، وتحدثتها وهي في عقر دارها.

أود أن أسترعي انتباهكم، وأنتم تبدأون الساعة الأولى من هذا المؤتمر المبارك: إن التجربة العراقية تجربة رائدة في المنطقة، وإذا أخذنا الديمقراطية باعتبارها تمثل حالة التعددية، والتداول السلمي للسلطة، ومواسم الانتخابات المتعددة، واحترام مكونات الشعب فهذه تجربة حافلة بمعانٍ إنسانية عالية على الرغم من قصر الفترة حيث البداية من 2003، وحتى الآن.

لا أزعج أن الانتخابات تعني الديمقراطية، لكن لا أتصور ديمقراطية من دون انتخابات، وفصول الانتخابات مهما تعددت، واتسعت للجماهير لا تعني أنها ديمقراطية من دون أن تستكمل عناصرها الأخيرة، كتداول السلطة، فمنذ عام 2003 ولحد الآن تعاقبت سلسلة حكومات حكومة: مجلس الحكم، والحكومة المؤقتة، والحكومة الانتقالية، والحكومة الوطنية الحالية بدورت يها الأولى والثانية، ولا يفوتني أن أؤكد أن التغيير الذي حصل في العراق لو لم تسبقه البنية التحتية الاجتماعية العراقية، وما قَدّمت من قطار من التضحيات في زعزعة النظام البائد ما استطاعت أكبر دول العالم أن تغيّر نظام الحكم في العراق.

هذه التجارب أمامكم فقد رأينا كيف أن الجيوش المتعددة لم تستطع تغيير حكم، لكن الشعب العراقي كان قد أسقط النظام سياسياً وفكرياً ومعنوياً، وحوّله إلى نمر من كارتون، فسقط في بضعة أيام، وفي زمن قياسي، أما القوات التي هزمت النظام المقبور فما هي اليوم يحسمها شعبنا، ويحسم وجودها من خلال القوى الوطنية المخلصة في البرلمان، وهذا هو الشهر الأخير - شهر كانون الأول - الذي نوشك أن ندخل فيه سيكون هو الموعد النهائي لبقاء القوات الأجنبية في العراق. نحن لا نتحدث من وحي الادعاءات إنما من وحي الواقع، فالتجربة العراقية اليوم تحفل بهذه المعاني الحقيقية للديمقراطية على الرغم من أننا مازلنا نؤكد أننا في بداية الديمقراطية، والمكونات الشعبية كلها موجودة في البرلمان، ومن ينظر إلى ساحة البرلمان يجد كل المكونات الشعبية من دون استثناء في قاعة البرلمان، بل يعبر البعض منهم من قاعة البرلمان إلى رواق الحكومة، وفي رواق الحكومة توجد كل الحكومات التي تشكلت، ووجدنا بشكل واضح وجلي أن الشخصيات المتنوعة موجودة.

من أبرز السمات الإيجابية للديمقراطية هو التحرك المجتمعي المتكامل بعضويه الأساسيين وهما المرأة والرجل.. المرأة العراقية تخطت العقبات السابقة، وها هي اليوم في البرلمان تتمثل بـ 82 سيدة، وفي الحكومة الانتقالية كانت هناك 6 من السيدات، وكنا ننوي تعيين السابعة كنائبة رئيس الوزراء، ولعل هذا لم يوجد حتى في كثير من دول العالم الغربية، وصحيح أنها دخلت بنظام (الكوتا) بمعنى أنها أُقيمت في البرلمان، لكننا نتطلع إلى اليوم الذي تقتم فيه ذاتياً.

تمنيتي أن تحظى التجربة العراقية برؤية دقيقة متمحصة من لدن الإخوة أصحاب الخبرة والتجارب السابقة، فالديمقراطية ليست قدراً إقليمياً، ولا قدراً مناطقياً إنما هي قدر إنساني؛ لذا كانت أميركا حينما بدأت في مسيرة الديمقراطية عام 1775، وبدأت الثورة في 1783، وانتصرت كانت قد ادعت ادعاءات عريضة بأنها تدعم الديمقراطية إنسانياً إلا أنه - للأسف الشديد - بدأت بعض الديمقراطيات تعاني من

انفصام، وبدأت بعضها تواجه تحديات كبيرة، وهناك نزعات - للأسف الشديد -  
لأمركة الديمقراطية، والتحكم بنتائجها.

الديمقراطية ليست قدراً بريطانياً أو سويسرياً أو أميركياً إنما هي تعبير عن حق  
الإنسان، ومن الصعب إن لم نقل من المستحيل عزل الديمقراطية، ومنع انعكاساتها  
في أي منطقة من مناطق العالم ، ونحن نعيش في عصر العولمة عصر اختزال  
الزمن، إذا لم نقل انعدام الزمن، حيث الأنيّة ذاتها في ميدان التحرير، وكذلك  
الميادين الأخرى التي حصلت فيها الانتفاضات والثورات، وانتقلت إلى كل عواصم  
العالم إلى طوكيو وسدني وكل منطقة من مناطق العالم.

لا يمكن حجب إشعاعات الديمقراطية عن مناطق العالم الأخرى؛ لذا نحن بحاجة إلى  
تنظير عقلائي يؤشر على المواطن والعناصر المشتركة في الديمقراطية، كما يحترم  
خصوصيات الديمقراطية في كل بلد؛ لأنها بكل تأكيد تمس فكراً النظرية المعرفية،  
وأخلاقياً تمس القيم المتعددة؛ لذا نحن نعيش عصر انتصار الديمقراطية، وهو  
مكسب كبير.

كان بودي أن أتحدث ربما أطول من هذا الحديث وإن كان الحديث حديثاً مرتجلاً فلم  
أعلم به إلا قبل بضع دقائق - قبل أن آتي إلى القاعة - لكن كان لابد لي من  
المشاركة.

أتمنى لهذه المجموعة، كما سمعت من الإخوة الذين شرفوني في البيت قبل فترة،  
وعرفوا بطبيعة الضيوف النجاح والتوفيق، وأتوقع منهم إثراء التجربة العراقية،  
ورفدها؛ حتى نعمل سوية من أجل تغذية، وتنمية، ومواكبة الإرهاصات الديمقراطية  
التي عمّت المنطقة، وتأبى إلا أن ترسم معالم جديدة؛ حتى ينتهي عصر الحكام  
المتسلطين، ويأتي حكام وحكومات تفرزهم البنى الاجتماعية التحتية من منظور  
ديقراطي، وإنساني، وإقليمي.

أتمنى لكم كل الموفقية، والمزيد من الشكر والتقدير لهذه المجموعة الثقافية..  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.